

النشاط الاجتماعي لوزارة الشؤون الاجتماعية

مشروع الزكاة - مكاتب اجتماعية في الأقاليم - مكافحة الأمية
عن طريق المراكز الاجتماعية

(١)

تكزه المذاهب الاجتماعية فكرة الاحسان المباشر من يد المحسن إلى يد المحتاج ، وترى فيها غضاضة وإيداء للكرامة في نفس المحسن إليه ، كما ترى فيها إيقاظا للباهظة والتعالى في نفس المحسن به . ولذلك أبطلت الأمم الرافقة للنسول . لهذا ولغرض آخر هو إزالة هذه الوصمة عن جبين الأمة بلحات إلى معاونة الطبقات المحتاجة إلى طريقتين : الأولى فرض الضرائب التي تكفل تحقيق العناية بهذه الطبقات ؛ والثاني التبرعات للجمعيات الخيرية ومنشآت الخدمة العامة ، حتى لا تصل الصدقة من يد المحسن إلى يد المحسن إليه مباشرة واحتفاظا بالكرامة الإنسانية للجميع .

تم هذا في الأيام الأخيرة حينما ارتقى الذوق الإنساني ، ونضج الشعور بالواجب . ويكاد القرن العشرون يكون مطلع هذا العهد الجديد في تنظيم الإحسان في الأمم الغربية .

فإذا وجهنا جهودنا شطر الشرق نجد أن الإسلام قبل ثلاثة عشر قرنا قد فطن إلى هذا المعنى ورمى إلى هذه الغاية بفعل الزكاة فريضة من فرائض الإسلام الخمس ، تجبي إلى بيت المال فينفق منها على الطبقات المحتاجة ، وجعلها حقا لهذه الطبقات لا تفضلا من أصحاب الأموال . وفي هذا المعنى يقول القرآن الكريم ” وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم “ .

وقد تشدد الإسلام في هذا الركن من أركانه على شدة نفور العرب منه ، حتى إن ردة المرتدين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قامت على التنصل من أداء الزكاة ، فمريض بذلك خيفة أبو بكر رضي الله عنه ؛ وحاربهم عندها مع حروجه موقفه بل موقف الإسلام كله ؛ ولم يرض بالتهاون فيها ولو فترة من الزمان .

واليوم نجد وزارة الشؤون الاجتماعية يدها مغلولة عن إتخاذ الطبقات الفقيرة لأنها لا تجد المال ، فتوفق توفيقا كبيرا حين تنجا إلى هذه الفريضة التي شرعت منذ ثلاثة عشر قرنا لمثل هذه الأسباب ، والتي تجعل التعاون الاجتماعي تكليفا لا تطوعا .

فليس من حق أحد أن يضع العراقيل في وجه هذه الضريبة الجديدة بأبحاث أفلاطونية. إنها ضريبة واجبة أخذت بمثلها الأمم المتحضرة حيناً أرادت التخلص من الاحسان المباشر وأثره الذمى ، فمن توفيق الله أن نجد لهذه الضريبة أساساً من الدين على وجه من الوجوه .

وإذا قلنا الدين ، فإسنا نفى الدين الإسلامى وحده ، فالديانة الموسوية تقرر العشر لمثل هذه القرية .

والديانة المسيحية تجعل من المستحيل على الأغنياء أن يدخلوا الجنة حتى يدخل الجمل من سم الخياط وتدعوهم للتخلص التام من الأموال ، فالإسلام حين يكفى برع العشر إنما يسر على الناس ويحقق الغرض المقصود من الصدقات .

وكثيرون أولئك الذين يحاولون أن يتسكوا بظاهر بعض النصوص ، وأن يقيموا للعراقيل الفلسفية ، في وجه كل عمل نافع ، ولا سيما إذا كان يكلفهم بعض التضحيات .

فيجب على هؤلاء أن ينظروا الى المستوى الاجتماعى المخزى الذى تعيش فيه ملايين كثيرة ، الى الفنى الفاحش الذى يتمتع به أفراد معدودون ، وأن يؤمنوا بأن هذا الوضع غير قابل للبقاء .

فوزارة الشؤون الاجتماعية إنما تقدم لم خدمة جليلة حين تكلفهم هذا التكليف المتواضع في سبيل تغيير هذا الوضع الشاذ تغيراً ضئيلاً . وحين ترضى الساططين وترد اليهم طمأنينتهم الى أنها تقوم لهم بما فرضته لهم الأديان من الحقوق في أموال الأغنياء ، وبذلك تصد مطاعمهم الأخرى التى قد تثيرها التيارات العالمية .

ان أغني الأغنياء وأحق الحقى هم أولئك الذين لا يريدون أن يستغلوا فرصة ادخال الطمأنينة الى قلوب الملايين من المحتاجين الذين يرون مظاهر الترف أمامهم وهم منها محرومون ، بهذا القدر الضئيل من التكاليف التى تنوينا وزارة الشؤون الاجتماعية .

وانهم حين يقيمون العراقيل في سبيلها بالأبحاث الأفلاطونية التى تستر الأثرة والشح ، إنما يوقظون في نفوس هذه الملايين عاطفة جارفة يخشى منها على جميع الأوضاع .

وانه لتوفيق — كما قلنا — أن تنفذ هذه الضريبة باسم الدين فيرضى عنها الدافعون ، ويقنع بها المتفهمون ، ويمس هؤلاء في قرارة نفوسهم أنهم قد أخذوا ما كتب الله لهم فلا ضرورة للسخط ولا اطباب المزيد ، والدين دائماً موضع الاطمئنان والإيمان ويمكن الرضا والافتناع .

وذلك ما يجعل لجباية هذه الضريبة باسم فريضة الزكاة معنى ومغزى أفضل من جبايتها باسم الضرائب المدنية كما يشير بذلك بعض الباحثين .

بقي أن نقول : إن غلة هذه الضريبة ينبغي ألا تذهب احسانا وقتيا مباشرا - كما تصنع وزارة الأوقاف فيما تسميه الخيرات - فليس أذهب من هذه الخيرات بالصورة التي تنفق عليها ، انما يجب أن تكون مورد رزق دائم أو شبه دائم للمحتاجين .

وقد وزعت وزارة التجارة والصناعة في تركيا أنوالا يدوية على بعض الأسر الفقيرة مقابل كمية صغيرة من القزل في نهاية العام .

وقامت وزارة الأوقاف هناك من أموال الخيرات بإقامة مصانع للزيت يشتغل فيها المحتاجون .

وفي مصر قامت المراكز الاجتماعية بتوزيع دود القزل على بعض البيوت ، وتوزيع بعض الككاكيت من نوع ممتاز على بعضها الآخر بمقابل تأخذه في نهاية العام ، والباقي يصلح أن يكون مورد رزق دائم للأسرة .

وما من شك أن كل هذا حسن ، وأنه يمكن التوسع بتوزيع العجول الصغيرة بدل الككاكيت أو بتوزيع الفم والماعز في مقابل نتاجها الأول مثلا . أو بأية وسيلة أخرى يكون من ورائها ضمن مورد رزق مستمر لا اسعاف وقفي لا أثر له .

(٢)

وبجانب مشروع الزكاة - وهذا موضعه من التوفيق - تهم الوزارة بمشروع آخر لجمع الصدقات ، يقوم على نفس الفكرة ، وهي إلغاء الاحسان المباشر الذي يطفى الغنى ويؤذى الفقير ، والذي يجعل الاحسان فوضى يتاله من لا يستحقه تارة ، ويقصر عن انقاذ المستحق تارة ، ذلك هو مشروع المكاتب الاجتماعية في الأقاليم .

وليس هذا مشروعا مرتجلا ، فقد جرب في القاهرة فنجحت التجربة ، وجربته المراكز الاجتماعية في الريف فنجح كذلك .

فأما في القاهرة فقد قامت جماعة من كرائم السيدات والأوانس المتطوعات تحت إشراف وزارة الشؤون الاجتماعية بجمع التبرعات من البيوت الغنية في حي المنيرة وجاردن سيتي لمساعدة الأسر الفقيرة في حي السيدة .

وقد انطاعت هؤلاء المتطوعات إلى البيوت خفافا ثم عدن إلى قواعدهن منقلات بالبركات من كل نوع : من الملابس والسكر والصابون والأرز والتقود ... فقم بتوزيعها على خمسين أسرة ثبت للركز فقرها المعدم ، ونالت كل منها ما يكفيها شهرا كاملا من كل الضروريات .

ثم جاء الصيف فلبأت الجماعة الى وسيلة أخرى وهى إقامة حفلات سينية بقاعة الاحتفالات الكبرى فى الجامعة نصف شهرية . وقد بلغ اراد احدى هذه الحفلات نحو أربعين جنيا ، وهو مبلغ لا بأس به فى تحقيق الغرض المحدود وهو مساعدة الخمسين أسرة سالفة الذكر .

وأما فى الريف فقد ألقت المراكز الاجتماعية ، جماعات من الخيرين فى بعض القرى يتولون جمع الصدقات فى المواسم وتوزعها سر على العائلات الريفية الفقيرة التى يثبت احتياجها ويجمع هؤلاء المتبرون العارفون بكل أهل القرية على ضرورة مساعدتها . وقد نجحت التجربة ونال المحتاجون الذين يعسهم 'بجاهل أغنياء من التعفف شيئا من المساعدة التى لا تؤذى كرامتهم .

فاذا قامت وزار الشؤون الاجتماعية - مد حاتين التجربتين - بتنفيذ مشروع المكاتب الاجتماعية فى الأقاليم . فاعا تقوم بمشروع مدروس برهنت التجربة على صلاحيته . وإذا كانت هازر الزر بيان قد نجحتا فإن المكاتب المنظمة المخصصة لهذا العمل ستكون أكثر نجاحا .

ان المصرى — غالبا — لا تنقصه روح البر . ولكنها لم تنضج فى نفسه بحيث يندفع الى البر بلا مطالب ، وهو يعطى الصدقة حينما طلبت منه بلا نظام ولا تدقيق . فعمل هذه المكاتب انما هو تنظيم هذه العاطفة وايقظها فى نفوس جميع القادرين ، وضمان إيصال المساعدات لمن يستحقونها بعد القيام بأبحاث وتدوين معلومات تجعل هذا العمل مؤيدا بالنظام غير متروك للصادفات .

ولو كانت الميزانية قد سمحت بتعميم المراكز الاجتماعية لكان هذا أحد أعمالها . ولكن المراكز التى أنشئت حتى اليوم من مال الدولة ومن مال الأفراد والجمعيات هى ثمانية مراكز فحسب ، ولا يعلم الا الله متى يتم تعميم هذا المشروع النافع . فلم يكن أمام الوزارة 'لا أن تثنى المكاتب الاجتماعية للنهوض بهذا العمل مستقبلا ، طالما أنها لا تكلف الميزانية الا القليل ، ولا يقف فى وجهها المال الذى اعتدنا أن يقف فى سبيل كل مشروعات الفقراء .

(٣١)

والخير أحد الأمراض الاجتماعية التى تنشأ عن الفقر ثم تنشئ هى الفقر ! ، والإصلاح يجب أن يكون شاملا حتى يكفل له النجاح . وتلك عتيدة صاحب المعالي وزير الشؤون الاجتماعية . عبر عنها أحد محررى جريدة البلاغ وهو يقول عن هذا الوزير :

”هو مؤمن بأن الإصلاح وحدة لا تتجزأ ، فلا خير أن تعالج مرضا يأكل جسد الفلاح من قروون ولده فيه سوء التغذية ، ثم تركه جائعا ليرتد المرض إليه . ثم لا خير فى أن تبني قرية نموذجية ثم لا تعلم الفلاح كيف يحافظ على نظافة مسكنه لتعود القرية بعد الشهور

أو السنين أكثر وساخة من القرى غير النموذجية. ثم لا خير في القاء المحاضرات في فوائد النظافة ما دام المواطن محروما من الذوق الذى يحمله على الإيمان بأجبال تبعها لحرمايه من الفنون. ثم لا خير في إنشاء المستشفيات في شعب مريض من غير أن تقرنها بنشر الوسائل التى تصح معها أجسام الشبيهة فتمشى الوقاية مع العلاج ... ولا معنى للطالبة بتحسين حال الفلاح وهو لما يزل يجهل فوائد التعاون .

وإذا نظرنا إلى كل ذلك الذى يريد معاليه أن يسير في خطوات متناسقة، وجدنا أن العلم ضرورى لكل خطوة فيه، فما يستطيع الفلاح الجاهل أن ينفع بالمشآت الصحية ولا بالقرية النموذجية ، وما يستطيع أن يحفظ بنظافة منزله ولا أن يتذوق الفنون ليرقى ذوقه ، وما يستطيع أن يعرف مزايا التعاون الذى تقوم نهضة الريف على أساسه .

فتنفذا لخطه التناسق بين جميع الخطوات اعترمت وزارة الشؤون الاجتماعية أن تحارب الأمية عن طريق المراكز الاجتماعية ، تقوم بدورها المساعد لعمل وزارة المعارف ومجالس المديریات ، عن طريق التطوع للخدمة العامة .

وقد قامت إدارة الفلاح بتجربة لهذا المشروع في بلدة محلة زياد الملحقة بمركز المحلة الكبرى فنظمت مشروعا لمكافحة الأمية بإنشاء عدة فصول يقوم بالتدريس فيها متطوعون من المدرسين أبناء القرية وغيرهم من المتعلمين .



إننا في الدور الحاضر من أدوار الإصلاح في حاجة إلى الأخذ بكل تجربة والسير بكل مشروع مهما كانت دائرته محدودة ، فالمجتمع المصرى أشبه شئ بالغريق الذى يتعاقب بكل عود وقد يصل بهذه الأعواد المتناثرة إلى شاطئ النجاة .

ومع ذلك فهذه نماذج من مشروعات الوزارة للإصلاح ووراءها الكثير من الموضوعات الشاملة والله الموفق لما فيه الفلاح .